الباب الأول

الزواج ودورة حياة الأسرة

مقدمة

الفصـــل الأول: تمهيد عن دورة حياة الأسرة

الفصل الثـانـى: التعريف بالزواج الشرعى

الفصل الثالـث: زواج مثنى وثلاث ورباع

الفصل الرابـــع: الزواج العرفى والسرى والمسيار

الفصل الخامس: أشكال أخرى من الزواج

مقدمة الباب الأول

الزواج وسيلة وليس غاية لاسيما فى المجتمعات الإسلامية، التى يتزوج فيها المسلمون من أجل بناء الأسرة والإنجاب وتربية الأبناء. فعندما يتزوج المسلم يكوّن هو وزوجته أسرة جديدة، تبدأ دورة حياتها بالزواج، ثم تنمو بالإنجاب، وترتقى سنة بعد أخرى مع نمو الأبناء والآباء، فنمو الأسرة وارتقاؤها مرتبط بنمو أفرادها جسميًا ونفسيًا واجتماعيًا.

ونتناول فى هذا الباب التعريف «بدورة حياة الأسرة» ثم التعريف بالزواج وأشكاله الشرعية وغير الشرعية، ونقسم الباب إلى خمسة فصول: يتناول **الفصل الأول**: التعريف «بدورة حياة الأسرة» والمراحل التى تمر بها، وفق أرجح الأقوال فى علم النفس الأسرى والإجتماع العائلى. وفى **الفصل الثانى** نعرِّف الزواج الشرعى وأحكامه وشروطه، وعقود الزواج الصحيحة والباطلة والفاسدة، ونبين الزواج الشرعى النموذجى، ثم نناقش فى الفصول: **الثالث والرابع والخامس** أشكال الزواج الأخرى، مناقشة موضوعية، نلتزم فيها بما هو متفق عليه فى المذاهب الرئيسة، أما فى حال الاختلاف حول الحلال والحرام، والوجوب والاستحباب والكراهية، فنتناول الرأى والرأى المقابل من دون الحكم على أدلتهما الشرعية، وقد نرجح أحد الآراء على الآراء الأخرى على أساس صلاحية الرأى لبناء حياة أسرية مستقرة، تحقق الأمن والأمان

للزوجين معًا، ونقدم الأدلة على صحة هذا الرأى من نتائج الدراسات فى علم النفس الأسرى، والاجتماع العائلى، والصحة النفسية. ونأمل أن يكون ترجيحنا لهذا الرأى أو ذاك متفقًا مع ما يريده الشرع. فإن كان كذلك فالحمد لله، وإن كان غير ذلك، فسوف نضرب بترجيحنا لهذا الرأى عرض الحائط، ونرجع عنه إلى الرأى الذى يتفق مع ما يريده الشرع، ويجمع عليه علماء الأمة، فالحق أحق أن يتبع.

الفصل الأول

تمهيد عن دورة حياة الأسرة

مقدمة:

تُدرس الأسرة من عدة مناحى أو بعدة طرق ، أو وفق عدة نظريات منها :البنائية والوظيفية والارتقائية والتفاعلية والرمزية والنسقية، وغيرها من النظريات التى تفسر الحياة الأسرية وتبين عوامل تماسكها، وطرق علاج مشكلاتها، وإجراءات الوقاية منها. فكل نظرية تنطلق من مسلمات ومعتقدات وتوجهات تختلف عن مسلمات ومعتقدات وتوجهات النظريات الأخرى.

ومع أن هذه النظريات جميعها تنطلق من مسلمات ومعتقدات وتوجهات غير إسلامية فإن بعض مسلماتها وتوجهاتها ومعتقداتها لا تتعارض مع تشريعات الإسلام للأسرة، ونظرته إليها، ولا بأس من الاستفادة منها فى تفسير الأسرة المسلمة، والتنبؤ بعوامل تماسكها وعلاج مشكلاتها والوقاية منها.

وتقوم دراستنا للأسرة المسلمة على المنحى الارتقائى أو على النظرية الارتقائية التى تتتبع « دورة حياة الأسرة »، والمراحل التى تمر بها، وخصائص كل مرحلة. وسنتناول فى هذا الفصل التعريف بدورة حياة الأسرة، ومدتها والأسس التى تقوم عليها، وتقسيمها إلى مراحل، ومواقف التحول وأزمات الارتقاء. ونختتم الفصل بتحديد دورة حياة الأسرة المسلمة والمراحل التى تمر بها.

تعريف دورة حياة الأسرة:

« دورة حياة الأسرة »Family life cycle مفهوم فرضى، يقوم على أساس أن الأسرة كائن له حياة، تمر من بدايتها إلى نهايتها بمراحل مختلفة، تؤثر كل مرحلة على ما بعدها، وتتأثر بما قبلها، وتظهر فيها خصائص جديدة، ومهام يقوم بها الزوجان أو الوالدان أو الأبناء من أجل نمو الأسرة من مرحلة إلى أخرى.

مبررات التقسيم إلى مراحل:

حياة الأسرة Family life عملية مستمرة، متصلة الحلقات، ومتداخلة المراحل، ومتشابكة المسئوليات، إلا أن دراستها من المنحى الارتقائى الأسرى The family developmental approach يفترض ارتقاءها فى مراحل متدرجة. وهذا الافتراض له ما يبرره من الناحيتين العلمية والواقعية، من أهم هذه المبررات الآتى:

١- ما نلمسه من اختلاف فى خصائص الأسرة وتكوينها أو بنائها على مدى حياتها، وكأنها تسير فى مراحل منتظمة، لكل منها خصائصها التى تميزها عن غيرها من المراحل. ففى البداية تتكون أية أسرة نواة من الزوجين، ثم ترتقى بالإنجاب، وتتدرج فى تطورها مع نمو أبنائها من الطفولة إلى المراهقة فالرشد، ثم يكتمل ارتقاؤها بزواج الأبناء، وتقاعد الآباء والأمهات، ودخولهم سن المعاش والشيخوخة. وباكتمال دورة حياة أسرة الآباء، تبدأ « دورة حياة أسر الأبناء »، لتسير فى المراحل نفسها التى سارت فيها أسر الآباء والأجداد من قبلها.

٢- ما نلمسه فى تدرج مسئوليات الأسرة نحو أفرادها ، يجعل « دورة حياة الأسرة » وكأنها تسير فى مراحل، لكل مرحلة مسئولياتها، التى تميزها عن غيرها من المراحل التى قبلها والمراحل التى بعدها، فالزوجان فى بداية « دورة حياة الأسرة » شابان يستمتع كل منهما بالآخر، ويواجه معه مطالب الزواج، ثم ترتقى الأسرة بالإنجاب، وتظهر مسئوليات الوالدية مع مطالب الزواج. ويستمر ارتقاء الأسرة ، وتزداد مسئوليات الوالدين مع نمو الصغير، حتى يرشد ويتزوج، ثم يدخل الوالدان فى الشيخوخة، وتظهر مسئوليات البنوة وبر الوالدين وصلة الرحم، وتكتمل « دورة حياة أسر الآباء » وتبدأ « دورة حياة أسر الأبناء » لتسير فى مراحل: الزواج والوالدية ثم البنوة وبر الوالدين من جديد .

٣- اختلاف مسئوليات الأفراد فى الأسرة وفق مراحل نموهم النفسى، يجعل دورة حياة الأسرة وكأنها تسير فى مراحل متسلسلة، فى كل مرحلة يقوم كل فرد بمسئوليات تختلف عن مسئولياته فى المراحل الأخرى. **فمسئولية كل من الزوجين** كبيرة فى إسعاد الزوج الآخر فى مراحل « دورة حياة الأسرة » جميعها ،**ومسئولية الوالدين كبيرة** فى إسعاد أبنائهما، وتنمية صحتهم النفسية فى المراحل الأولى من « دورة حياة الأسرة » حيث يكون الوالدان فى مرحلة الشباب والقوة، والأبناء فى مراحل الضعف والإعالة. **أما مسئولية الأبناء فتصبح كبيرة** فى إسعاد والديهم وتنمية صحتهما النفسية فى المراحل الأخيرة من « دورة حياة الأسرة »، حيث الأبناء فى مراحل الشباب والقوة، والآباء فى مرحلة الكبر والضعف.

٤- ارتباط دورة حياة كل فرد فى الأسرة بنموه النفسى، يجعل حياته الأسرية وكأنها تسير فى مراحل متدرجة، فى كل مرحلة للفرد خصائص، وعليه واجبات والتزامات وله حقوق على الآخرين (Duvall& Miller,1985) فلو تتبعنا حياة كل رجل فى مجتمعنا نجده يولد رضيعًا فى أسرة، ويدخل المدرسة فى سن ٦ سنوات تقريبًا، ويتزوج فى سن ٢٥، ويكُون أبا لأول مرة وهو فى سن ٢٧، وأبا لابن مراهق وهو فى سن ٤٠، ويتزوج ابنه وهو فى سن ٥٥، ويكون جداً وهو فى سن ٥٧، ويتقاعد وهو فى سن ٦٠ أو ٦٥، ويعيش باقى حياته مع زوجته أو أرملاً.

أما المرأة فتولد رضيعة فى أسرة أيضًا، وتذهب إلى المدرسة وهى فى سن ٦، وتتزوج وهى فى سن ٢٠ تقريبًا، وتلد طفلها الأول وهى فى سن ٢٢، ويدخل طفلها الأول الروضة وهى فى سن ٢٦، وتكون أمًا لمراهق وهى فى سن ٣٣، ويتزوج ابنها وهى فى سن ٤٥، وتكون جدة وهى فى سن ٤٧، وتتقاعد وهى فى سن ٦٠ أو ٦٥، وتعيش باقى حياتها مع زوجها أو أرملة.

مدة دورة حياة الأسرة:

ويتفق علماء المنحى الارتقائى الأسرى Family developmental theorists على امتداد « دورة حياة » أية أسرة من بداية نشأتها بالزواج وحتى نهاية وجودها بالطلاق أو وفاة أحد الزوجين أو كليهما. وقد تستمر هذه الدورة أقل من سنة وتموت الأسرة فى المهد، قبل أن

تستكمل مراحلها، وقد تستمر لأكثر من سبعين سنة حتى تستكمل مراحلها (Mares,1997) فالأسرة كأى كائن قد تعمر طويلاً، أو ينتهى أجلها فى المرحلة الجنينية، أو بعد الولادة مباشرة. وإذا طبقنا منحنى التوزيع الاعتدالى على «دورة حياة الأسرة» فى أى مجتمع طبيعى أو عادى، سوف نجد أن قلة من الأسر (حوالى ١٦٪) تنتهى دورة حياتها بعد فترة قصيرة لا تزيد عن ثلاث سنوات، وقلة أخرى (حوالى ١٦ ٪ أيضًا) تنتهى دورة حياتها بعد فترة طويلة، قد تزيد على الخمسين سنة. ولكن معظم الأسر فى المجتمع (حوالى ٦٨٪) تنتهى دورة حياتها بين الأجلين القصير والطويل.

وإذا كانت دورة حياة كل أسرة تنتهى بالطلاق أو الوفاة، فليس كل طلاق أو وفاة يؤدى إلى انتهاء «دورة حياة الأسرة». فقد تستمر الأسرة فى الوجود بعد طلاق الزوجين أو وفاة أحدهما، وتستكمل «دورة حياتها» إذا تمسك الزوج الآخر بحياته الأسرية، وتحمل مسئوليات رعاية أبنائه بدوافع الأمومة والأبوة وعبادة الله، حتى تستكمل الأسرة دورة حياتها «أحادية الوالدية» «One perant family».

مواقف التحول وأزمات الارتقاء:

وتُقسم دورة حياة الأسرة إلى مراحل وفق خصائص أفرادها البيولوجية والنفسية والاجتماعية ومسئولياتهم الأسرية، ففى كل مرحلة تظهر خصائص ومسئوليات جديدة فى الأسرة. ويقصد بالخصائص الجديدة فى كل مرحلة تغيرات تطرأ على بناء الأسرة، وعلى

علاقات أفرادها، وأدوارهم الاجتماعية، بسبب ارتقاء الأسرة ونمو أفرادها. أما المسئوليات الجديدة فيقصد بها مواقف تواجهها الأسرة أول مرة، بسبب ارتقائها، وتتطلب اكتساب مهارات ومعلومات وخبرات جديدة لمواجهة هذه المواقف والتجاوب معها.

وتختلف المواقف الجديدة التى تحدث بسبب ارتقاء الأسرة عن المواقف الأخرى التى تحدث بسبب صعوبات أو مشكلات تواجه الأسرة، فالأولى مواقف تحول طبيعية Normal situation of transition أو أزمات تَحَوُّل طبيعية Normal - crises of transition تحدث فى الأسر جميعها وفق مراحل نموها، وهى علامات صحية على نموها وارتقائها، أما المواقف الأخرى فهى مواقف أسرية غير طبيعية، ناتجة عن خلافات أو مشكلات أو أزمات تواجه الأسرة، وتحتاج إلى العلاج والمساعدة فى حلها والتغلب عليها (Ingoldsly & Smith, 2000).

وأهم المواقف الجديدة التى ترتبط بدورة حياة الأسر ومراحل نموها أو ارتقائها هى : الزواج والحمل، وإنجاب الطفل الأول، ودخوله الروضة والمدرسة الابتدائية، وبلوغه المراهقة، والرشد، وحصوله على عمل وزواجه، وكبر الوالدين وبلوغهما سن المعاش والشيخوخة، ووفاة أحدهما، وغيرها من المواقف التى يواجهها الأزواج والآباء والأبناء فى حياتهم الأسرية أول مرة، بسبب نمو الأسرة وارتقائها من مرحلة إلى أخرى. وقد تتحول المواقف الطبيعية فى ارتقاء الأسرة إلى مشكلات أو أزمات أسرية، إذا لم يفهمها أفراد الأسرة، أو إذا فهموها فهمًا خاطئًا، وتعاملوا معها بأساليب غير مناسبة.

ويتضمن الزواج وإنجاب الطفل الأول وتربيته من الطفولة إلى الرشد، وما يصاحبها من تطور فى خصائص الأسرة ومسئولياتها، العديد من المواقف الجديدة على أفرادها، أما ولادة الطفل الثانى (وما بعده) وتربيته فهى مواقف مكررة، وليست جديدة على الأسرة، لأنها مرت بها فى رعاية الطفل الأول، وأصبحت على معرفة ودراية بها، وهذا ما جعل علماء المنحى الارتقائى يتابعون «دورة حياة الأسرة» من خلال نمو الطفل الأول، وما يصاحبه من تغيرات فى الأسرة.

دورة حياة الأسرة المسلمة

اختلف الباحثون فى تحديد مراحل دورة حياة الأسرة، فالبعض يراها مرحلتين وآخر يراها أربع مراحل، وثالث يراها سبع أو ثمانى مراحل، ويذهب غيرهم إلى أنها ٢٤ مرحلة، لكن الأكثر شيوعًا تقسيمها إلى سبع أو ثمانى مراحل (Duvall& Miller, 1985). ونأخذ فى هذا الكتاب بالتقسيم السباعى، ونقسم «دورة حياة الأسرة المسلمة» إلى سبع مراحل يوضحها الجدول الآتى:

(جدول رقم ١) مراحل دورة حياة الأسرة وفق أعمار الوالدين والطفل الأول فى الأسرة والخصائص والمسئوليات الجديدة فى كل مرحلة

المرحلة	السن التقريبى للمرأة فى بداية المرحلة	السن التقريبى للرجل فى بداية المرحلة	السن التقريبى للطفل الأول	المدة الزمنية للمرحلة	خصائص الأسرة الجديدة فى المرحلة	المسئوليات والمواقف الجديدة فى كل مرحلة
١- مرحلة الزواج	٢٠-٢٥	٢٥-٣٠		١-٢	نشأة الأسرة من زوجين	واجبات وحقوق الزوجية والإنفاق وواجبات المنزل وإدارة الأسرة
٢- مرحلة الإنجاب	٢١-٢٧	٢٦-٣٢	٠-٢	٢	اكتمال بناء الأسرة ووجود طفل رضيع	واجبات الوالدية لطفل رضيع مع واجبات الزوجية وإدارة الأسرة والإنفاق
٣- مرحلة الطفولة المبكرة.	٢٣ - ٣٠	٢٨-٣٤	٣-٦	٤	وجود طفل فى سن الروضة	واجبات الوالدية لطفل فى سن الروضة ورعاية الأسرة
٤- مرحلة الطفولة	٢٧ - ٣٤	٣٢-٣٨	٧-١٢	٦	انتقال الطفل إلى المرحلة الابتدائية	واجبات وحقوق الوالدية للطفل فى المرحلة الابتدائية - التحاق الطفل بالمدرسة الابتدائية
٥- مرحلة المراهقة	٣٣-٤٠	٣٨-٤٤	١٣-٢١	٩	نمو الطفل إلى المراهقة	واجبات وحقوق الوالدية والبنوة- التحاق المراهق بالمدرسة الإعدادية والثانوية والجامعة أو غيرها.
٦- مرحلة الرشد	٤٢-٤٩	٤٧-٥٣	٢٢-٣٠	١٥	حصول الابن أو الابنة على عمل وزواجه أو زواجها	واجبات وحقوق المصاهرة - إنشاء أسرة جديدة وارتباطها بالأسرة الأصلية
٧- مرحلة التقاعد والشيخوخة	٥٧ - ٦٤	٦٢-٦٨	٣٧-٤٥	١٠	كبر الوالدين أو مرضهما أو وفاتهما أو وفاة أحدهما واكتمال دورة حياة الأسرة	بر الوالدين وصلة رحمهما والدعاء لهما.

ومن الملاحظ فى جدول مراحل « دورة حياة الأسرة المسلمة » أن تحديد أعمار الرجل والمرأة وطفلهما الأول تحديد تقريبي، يعتمد على المتوقع فى كثير من الأسر، ولايمنع هذا من أن تكون أعمار بعض الرجال والنساء والأطفال الأوائل فى كل مرحلة من دورة حياة الأسرة أكبر أو أصغر مما أشرنا إليه فى الجدول السابق. فقد يتزوج الرجل والمرأة وهما فى سن مبكرة، ويكونان زوجين ووالدين لطفل وهما صغيران، وقد يتزوجان وهما فى سن متأخرة، ويكونان زوجين ووالدين وهما فى سن كبيرة.

كما إن تحديد بداية كل مرحلة من « مراحل دورة حياة الأسرة » ونهايتها ومدتها قد تم أيضًا بطريقة تقريبية، وفق المتوقع فى كثير من الأسر، ولايمنع هذا من أن تمتد المرحلة الأولى فى دورة حياة بعض الأسر مثلاً إلى أكثر من سنتين، بسبب تأخرها فى الإنجاب لأى سبب من الأسباب، وقد لا تمر حياة أسر أخرى بالمراحل السبع السابقة، بسبب عدم الإنجاب أو بسبب موت الأطفال وهم صغار، فتختل دورة حياتها، وتنتقل من المرحلة الأولى أو الثانية أو الثالثة إلى المرحلة السابعة مباشرة من دون المرور بالمراحل التى بين الأولى والسابعة، أو بين الثانية والسابعة، أو الثالثة والسابعة، حيث يكبر الزوجان ويصلان إلى سن الشيخوخة من دون أن يمرا بمرحلة الإنجاب، أو دخول الأطفال المدارس أو رعاية المراهق أو زواج الأبناء، وغير ذلك من مراحل « دورة حياة الأسر العادية أو الطبيعية » (Duvall& Miller, 1985).